من ملامسة غيبية تحقق كل شيء فى حال أقرب الى النوم منها الى المكابدة ، لأنها تتطلع الى قوة خافية تستفاد ولا تعانى .

هذه هى الغيرة على التكوين العاطفى للإنسان ، أو الغيرة على القلق والمعاناة ، هذه هى القضية الأساسية . إن كثيرا من شئون التحليل اللغوى قد أقلق هموم العقاد أو لم يستطع القيام بمصالحة أكثر إفادة .

لم يكن العقاد ينكر أن شوقى مجدد أو صاحب طراز خاص من التجديد ، هذا شيء لايحتمل الشك ، إلا إذا كنا مولعين بسرعة القراءة ، ولكن العقاد أنكر غير قليل من بلاغة شوقى أيضا ، ولكن الخصام الأساسى بين العقاد وشوقى مداره طريقة النظر . بلاغة شوقى أقامت نوعا من الازدواج بين الإحساس الغيبى والبهجة أو المرح ، فإذا كان الإحساس الغيبى فلا بهجة ، وإذا كانت البهجة فلا إحساس غيبى ، وهذا هو الإخفاق فى التفكير دون مراء فى نظر العقاد ، قل ماشئت فى عبارات العقاد الحادة ، وهى عبارات كانت تقوم على الشعور بأنه يخاطب الناس من مكان بعيد ، كان مدار الخصام هو روح الإنسان ، وإذا لم تستعمل هذه العبارة و مثلها فسوف نتخبط فى الظلام . لقد خلط شوقى فى تفكيره بين الفطنة والاعتبار والبهجة والغيب ، وأقام لنا صرحا غير مؤتلف الأجزاء . هنا لابد أن تذكر أن الدكتور طه قال مرة إن شوقى يجدد تجديدا ملتويا . إن شوقى كان يجدد كما (تجدد) الحية الرقطاء . ولكن العقاد لايعرف هذا النوع الذى تشتبه فيه القسوة واللباقة ، قال إن شوقى لم يستطع أن يؤلف تأليفا باطنيا بين العناصر ، أو قال إن شوقى لم يفهم روح البهجة بالحياة وأصالتها فى التأليف بين الأفكار ، واستشهد العقاد على مهاجمة هذه البلاغة التلفيقية بطريقة ماتزال محتاجة الى التروى . قال العقاد ذات يوم ماالذى يدعو شوقى الى أن يسأل شكسبير عن الموت وعالمه وعن الديدان وقد عبثت قليلا أو كثيرا بروح الإنسان . وبعبارة أخرى كان شوقى يرى الفن بمعزل عن التشيع للحياة أو الإنسان . والتشيع بداهة لايعنى إنكار مايلحق بالإنسان من هزيمة ، ولكنها هزيمة إنسان .

لماذا استوقفنا العقاد عند شوقى فى ربيعياته ؟ لسبب بسيط هو أن الربيع هو فصل البهجة بالحياة ؟ ولأن الربيع والبهجة بالحياة هما معا فكرة الانبعاث أو النهوض .

ولا أطيل عليك فقد كانت هموم العقاد لا تحوجه أحيانا الى التلكؤ وإقامة نسيج